نقش من العصر المملوكي من [مرب الشرفات] بالبادية الأردنية الشمالية الشرقية

زياد عبدالله طلافحة
محمد عبدالكريم الجراح
عماد بشير عبيدات

ملخّص: يتناول هذا البحث نقشًا إسلاميًّا مؤرخًا بسنة (٧٥١هـ)، يعود للفترة المملوكية، عُثر عليه في منطقة مرب الشرفات، الواقعة شمال شرقي بلدة الصفاوي، بنحو ٣٥ كيلو مترا، وذلك أثناء المسح الميداني في البادية الأردنية. افتتح النقش بأبيات شعرية يطلب فيها الكاتب ممن يقرأها أن يدعو له بعفو الإله، ثم دعا لنفسه بالغفران في نهاية النقش، وذكر نسَبَهُ الذي يرجع لقبلية الزبيد.

كلمات مفتاحية: البادية الأردنية، زبيد، الشعر، مرب الشرفات، الصفاوي، الفترة المملوكية.

Abstract: *This study examines an Islamic inscription from the Mamluk period, dating back to 751AH. This inscription was discovered in the Marab ash-Shurafat area, approximately 35 kilometers northeast of Safawi, Jordan, during a field survey in the Jordanian Badia. The inscription begins with poetic verses by the writer, pleading to those who read it to implore God to pardon him. He, then, implores God for forgiveness at the end of the inscription and mentions his lineage, tracing back to the Al-Zubaid tribe.*

الموقع والاكتشاف

عُثر على هذا النقش في عام ٢٠٢٤م، في منطقة مرب الشرفات، أثناء المسح الميداني في البادية الأردنية الشمالية الشرقية.

يقع مرب الشرفات شرق بلدة الصفاوي على بعد ٣٥ كيلو مترا من الجهة الشمالية للطريق الواصلة بين الرويشد والصفاوي، ومرب الشرفات منطقة زراعية تربتها خصبة (الخرائط ١-٣).

وصف النقش

نُفِّذَ النقشُ بطريقة الحزِّ الخفيف على حجر بازلتي قاسٍ ذي شكلٍ بيضاويٍّ مقعّرٍ من جهة اليسار، ويتكون من ثمانية أسطر منتظمة، ويبلغ ارتفاع الحجر ٤٥سم، وعرضه ٣٥سم، لم يظهر في النقش أي علامات زخرفية، سوى إشارة واحدة تتمثل بشكل مشابه للعدد سبعة فوق حرف السين في عدد من الكلمات وهي: سوف في السطر الرابع، وبرجس وساعد في السطر السادس، وسنة وخمسين في السطر السابع، وسبعمايه

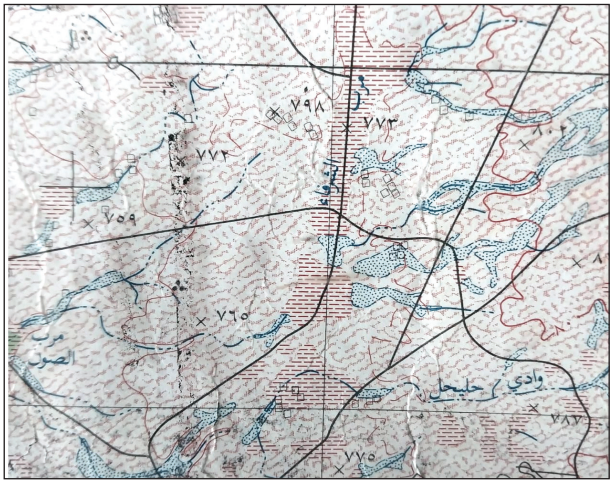

الخريطة ١: الصفاوي: مرب الشرفات (الشرفاء).

الخريطة ٢: مرب الشرفات N32°26521″ E37°24334

الخريطة ٣: إحداثيات موقع النقش: N32°18451″ E37°19096

في السطر الثامن. أما نوع الخط فهو خط النسخ.

قراءة النقش (اللوحة ١، الشكل ١)

السطر الأول: رحم اللّٰه مَن قرا خط كفي ودعا لي بالعفو من يوم حتفي

السطر الثاني: فعسا (فعسى) أن يكون عبدٍ(عبدًا) فقيرًا(فقيرًا) يستجيب ألِيَلَاْهُ (الإله) منه فيعفي

السطر الثالث: باسا (بأسا) من يميني رب المنية لم (لما) كانت الشبهة

السطر الرابع: ولسوف ينقلب الزمان ويحيى (ويحيا) بالقوم

السطر الخامس: كتب سنة ٧٥١

السطر السادس: اللهم اغفر لبرجس بن محمد بن هلال بن ساعد

السطر السابع: الزبيدي وكتبه سنة احد (إحدى) وخمسين

السطر الثامن: وسبعمايه (وسبعمئة)

أهمية النقش

ترجع أهمية هذا النقش لكونه يذكر قبيلة زبيد في منطقة مرب الشرفات لأول مرة؛ فهناك نقوش اكتشفت في منطقة تلة العبد، وتلة الفهداوي في البادية الأردنية ذات علاقة بصاحب هذا النقش والذي يرجع نسبه إلى قبيلة «زبيد»، حيث عثر في منطقة تل العبد في البادية الأردنية على عدد من النقوش، منها المؤرخة بعام «٧٢٤هـ- ١٣٢٤م» وتذكر شخصًا اسمه ساعد بن هلال الزبيدي، وأحمد بن ساعد بن أحمد بن مياس الزبيدي (برامكي١٩٦٤: ٣٤٤-٤٤٥)، وكذلك احتوت نقوش مسجد تلة الفهداوي على عدد من النقوش التي ذكرت صاحب تأسيس المسجد وبنائه، وهو أخ لصاحب هذا النقش، واسمه قاسم بن محمد بن هلال الزبيدي، والذي عاونه إخوته: علي، وغظنفر، ومهلهل، في البناء، وذكرت نقوش المسجد أيضا عددا من أسماء إخوته وأحفاده، وابنه، وعمّه هارون بن هلال بن ساعد (طلافحة ٢٠١٥: ٥٠)، وكلهم يعودون بنسبهم إلى الأمير هلال بن ساعد (العيني٢٠١٠: ١٠٤؛ الأحيوي ٢٠١٨: ٤).

وذكر نقش آخر اكتُشف في منطقة اللظايم في البادية الأردنية هارون بن رجب الزبيدي من قبيلة زبيد (الجبور؛ عموش ٢٠١٧: ١٠٥)، وهناك نقوش أخرى ذكرت قبيلة زبيد في البادية الأردنية،عُثر عليها في تلال أم العواقيل (العواجيل) التي تقع شرق مدينة المفرق على بعد ١٨٥ كيلو مترا. (الحصان ٢٠٢٠: ١٩-٣٣) (الجدول ١).

الجدول ١: بعض أسماء من قبيلة الزبيدي الواردة في النقوش المكتشفة في البادية الأردنية

الاسم	المكان	التاريخ	المصدر
قاسم بن محمد بن هلال الزبيدي (مؤسس المسجد)	تلة الفهداوي	٧٣٩هـ	طلافحة، ٢٠١٥، أدوماتو، العد٣٢

غظنفر بن محمد بن هلال الزبيدي (عاون ببناء المسجد)	تلة الفهداوي	٧٣٩هـ	طلافحة، ٢٠١٥، أدوماتو، العدد٣٢
مهلهل بن محمد بن هلال الزبيدي (عاون ببناء المسجد)	تلة الفهداوي	٧٣٩هـ	طلافحة، ٢٠١٥، أدوماتو، العدد٣٢
فصايل بن محمد بن هلال الزبيدي	تلة الفهداوي	٧٣٩هـ	طلافحة، ٢٠١٥، أدوماتو، العدد٣٢
ثابت بن قاسم بن محمد بن هلال الزبيدي	تلة الفهداوي	٧٣٩هـ	طلافحة، ٢٠١٥، أدوماتو، العدد٣٢
هلال بن محمد بن هلال	تلة الفهداوي	٧٣٩هـ	طلافحة، ٢٠١٥، أدوماتو، العدد٣٢
أحمد بن محمد بن هلال	تلة الفهداوي	٧٣٩هـ	طلافحة، ٢٠١٥، أدوماتو، العدد٣٢
هارون بن هلال بن ساعد	تلة الفهداوي	٧٣٩هـ	طلافحة، ٢٠١٥، أدوماتو، العدد٣٢
برجس بن محمد بن هلال بن ساعد الزبيدي	مرب الشرفاء	٧٥١هـ	تحت النشر
ساعد بن هلال الزبيدي	تل العبد	٧٢٤هـ	برامكي ١٩٦٤:٣٤٤
هارون بن رجب الزبيدي	منطقة اللظايم	٧٦٦هـ	الجبور، عموش ٢٠١٧: ١٠٥
نصير ابن هديه الزبيدي	أم العواقيل	٧٠٨هـ	الحصان٢٠٢٠: ٢٩

تميز هذا النقش بأنَّ مُنَفِّذه أورد أبياتًا شعرية في بداية نقشه، وسوف يتم تناولها في هذا البحث، وقد احتوت هذه الأبيات على بعض المواعظ الدينية كالدعاء، وطلب العفو عند الموت.

ستتم دارسة هذا النقش كالآتي: منفّذ النقش وتاريخه، والأدعية الواردة فيه، والأنساب في النقش، الأبيات الشعرية في النقش، وأخطائه النحوية والإملائية.

مُنفّذ النقش

يعد اسم الموَقِّع أو كاتب النقش من أهم أركان النقش الرئيسة، عند كتابته ودارسته، واسم مُنفّذ هذا النقش هو «برجس بن محمد بن هلال بن ساعد الزبيدي»، يعد واحدًا من أحفاد الأمير «هلال بن

اللوحة ١: الحجر الذي اكتُشف عليه النقش.

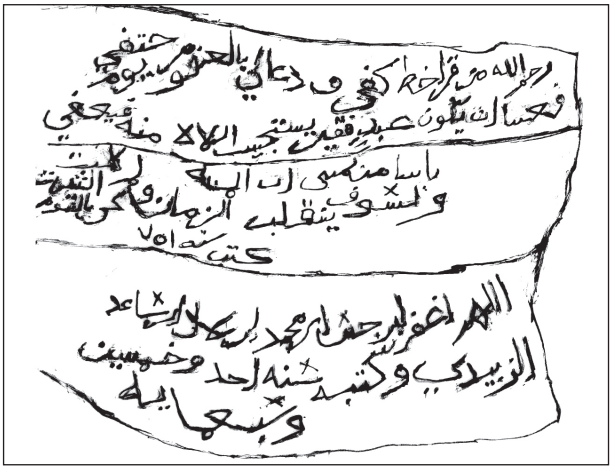

الشكل ١ تفريغ النقش في اللوحة ١.

ساعد» (العيني٢٠١٠: ١٠٤؛ الأحيوي٢٠١٨: ٤)، وقد انتشر عدد من أسماء أبناء وأحفاد هذه العائلة في عدد من مواقع الكتابات في البادية الأردنية في الفترة المملوكية بمنطقة تلة العبد، وتلة الفهداوي، ومرب الشرفات بالبادية الأردنية، ومواقع أخرى، وذيلت غالبية أسماء هذه العائلة بنسب «الزبيدي»، ويبدو أن لهذه العائلة مكانة مرموقة عند قبيلة الزبيدي.

تأريخ النقش

كُتب تاريخ هذه النقش بصيغتين الصيغة الأولى رقمًا (٧٥١)، وبالأرقام الهندية، إذ استخدمت هذه

الأرقام في الحساب العربي لأول مرة في القرن التاسع الميلادي وتحديدا في عهد الخليفة المأمون، وقد أسهم الخوارزمي في نقل هذه الأرقام وقام باستخدامها في عام ١٩٨هـ- ٨١٣م في علم الأزياج، والأزياج كلمة عربية تشير إلى الجداول الفلكية التي تتضمن معلومات عن حركة الكواكب، ثم نشر في عام ٢١٠ هـ- ٨٢٥م رسالة تعرف باسم «الخوارزمي عن الأرقام الهندية، كانت مرجعًا مهمًا لتعريف المسلمين بالأرقام الهندية وطريقة استخدامها (بكير٢٠٢٣: ٢).

فالأرقام الهندية كانت معروفة قبل تاريخ هذا النقش، وكاتب النقش أراد أن يلفت الانتباه إلى أن كلا الجزأين هما لتاريخ واحد رغم أنه وضع خطا فاصلا بين الأبيات الشعرية والجزء الثاني من النقش، فالإطار العام للنقش مغاير لما هو متعارف عليه، فعادة تبدأ هذه النقوش بعبارة «اللهم أغفر»، ولكنه أخّر هذه البداية، وأصبحت الجزء الثاني من النقش، وهذا يقودنا إلى احتمال أن الجزء العلوي من النقش مستحدث أي كتب بعد النص الأصلي الموجود أسفل منه، وأن المساحة لم تسعفه في كتابة التاريخ بالحروف فدوّنه رقمًا.

والصيغة الثانية للتاريخ مكتوبة بالحروف، وكاتب النقش لم يؤرخ باليوم والشهر بل اكتفى بالسنة، وكان تاريخه سنة إحدى وخمسين وسبعمئة للهجرة، والذي يوافق ١٣٥٠ ميلادية في عهد السلطان المملوكي حسن بن محمد بن قلاوون المولود سنة ٧٣٥هـ الموافق ١٣٣٤م، والذي سمي أولًا باسم قامري، وعندما تولى حكم مصر اختار اسم حسن وعُرف به، وأصبح سلطانا في عام ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م وكان عمره وقتها ثلاثة عشر عامًا فقط، ولصغر سنه فقد ناب عنه الأمير بيبغا روس لإدارة شئون البلاد.

وفي عام ٧٥١هـ أثبت القضاة بلوغه سن الرشد، وتولى الحكم وقام بالقبض على كل من الأميرين بيبغا روس ومنجك اللذين كانا يتوليان إدارة البلاد، ثم تآمرا عليه وأقصوه عن الحكم عام ٧٥٢هـ، وعُيّن مكانه أخوه الملك الصالح، ثم في عام ٧٥٥هـ، عُيّن السلطان حسن لحكم مصر، واشتدت الفتنة بعد ذلك بينه وبين الأمير يلبغا، وحاول السلطان قتله، ولكن لم يحالفه الحظ وهاجم يلبغا السلطان حسن في القلعة فهرب السلطان، وقيل: إنه قبض عليه وهو في طريقه إلى الشام، ويقال أيضا: إنه خنق وألقي في البحر ولم يعرف له قبر (المقريزي١٩٩٧، ج٤: ٥٨- ٥٩).

ومما تجدر الإشارة إليه أن التأريخ بالأرقام الهندية كان مستخدما في الشام، وكان بداية ظهورها على العمائر المصرية في العصر المملوكي البحري - فترة النقش - حيث تشير الكتابة المنقوشة داخل قبة ضريح الأمير سنقر السعدي المملوكي إلى تاريخ ٧٢١هـ = ١٣٢١م؛ ما يدل على أن بناء الضريح اكتمل بعد ست سنوات من إنشاء المدرسة التي أُسست عام ٧١٥هـ = ١٣١٥م. ويُعد هذا الفارق الزمني بين تأسيس المدرسة وإنهاء الضريح أمرًا مألوفًا في العمارة المملوكية، إذ كانت أعمال الزخرفة والدفن تستكمل لاحقًا. (Centro di Conservazione Archeologica 216: 3).

عُثر في البادية الأردنية على نقوش مؤرّخة بالسنة، ونقوش مؤرخة باليوم والشهر والسنة؛ فنقوش تلة الفهداوي الواقعة شرق بلدة الصفاوي بنحو عشرين كيلو مترا في البادية الأردنية أرّخت نقش تأسيس المسجد باليوم والشهر والسنة، وكان الفارق الزمني بين نقوش مسجد الفهداوي وهذا النقش أربع عشرة سنة (طلافحة ٢٠١٥: ٥٣)، ووجدت في منطقة جاوه - الواقعة في البادية الأردنية - نقوش عديدة مؤرّخة بالسنة كما في النقوش «٩٣، ٨٨، ١٠١» (برامكي١٩٦٤: ٣٤١-٤٤٢-٣٤٤)، بينما وجدت نقوش في وادي سلمى - الواقع إلى الشمال الشرقي من بلدة الصفاوي في الحرة الأردنية - مؤرخة باليوم والشهر والسنة (الجبور١٩٩٩: ٢٧).

الأدعية الواردة في النقش

بدأ كاتب النقش بطلب الرحمة لمن قرأ خط يده ودعا له بالعفو من الله بعد موته، والدعاء للميت أمر مستحب معروف في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر: ١٠)، وجاء في الحديث الشريف عن عثمان بن عفان، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم، إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل» (أبو داود ٢٠٠٩: ج١٢٧:٥)، ويبدو أن ذلك معلوم لصاحب النقش.

وكاتب النقش يعتقد أن دعوة العبد الفقير مستجابة عند الله، إذ جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» (الترمذي ١٩٧٥: ج٤: ٥٧٨).

أما قول صاحب النقش: فيعفي بأسا من يميني رب المنية لما كانت الشبهة فيشتمل على أكثر من بُعد دينيّ، إذ استخدم صيغة المثنى (يميني) للدلالة على أن كلتا يدي الله عز وجل يمين، وجاء في الحديث الصحيح في حديث زهير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» (مسلم ١٩٥٥: ج١٤٥٣:٣)، ويبدو أن هذا المعنى كان حاضرا عند كاتب النقش، وهو معنى إسلامي صرف، ولكن التركيب (رب المنية) هو على الأرجح من بقايا التراكيب الجاهلية، إذ يُنسب لأمية بن أبي الصَّلْت واصف الحمامة والأفعى وإبليس في سياق الحديث عن سفينة نوح حسب التصور الجاهلي:

وَأُرْسِلَتِ الْحَمَامَةُ بَعدَ سبْعٍ
تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لا تَهابُ

تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا
وغبّتها من الْماءُ الْعُبَابُ

فَجَاءَتْ بَعْدَما رَكَضتْ بِقطْفٍ
عَلَيْهِ الثَّأْطُ وَالطِّينُ الْكُبَابُ

فَلَمَّا فرَّسوا الْآيات صاغُوا لَها
طَوْقًا كَما عُقِدَ السخابُ

إِذَا ماتَتْ تُوَرِّثُهُ بَنِيها
وَإِنْ تُقْتَلْ فَلَيْسَ لَها استِلابُ

كَذِي الْأَفْعَى يُرَبِّبها لَدَيْهِ
وَذِي الْجِنِّيِّ أَرْسَلَها تُسابُ

فَلَا رَبُّ الْمَنِيَّةِ يَأْمَنِنْها
وَلَا الْجِنِّيُّ أَصبَحَ يُستَتَابُ

(أمية بن أبي الصلت ١٩٩٨: ٢٤-٢٥)، والمنية في النقش تعني الهلاك، «وَالْمَنِيَّةُ الْمَوْتُ وَاشْتِقَاقُهَا مِنْ مُنِيَ لَهُ أَيْ قُدِّرَ لِأَنَّهَا مُقَدَّرَةٌ وَالْجَمْعُ الْمَنَايَا» (الرازي١٩٩٩: ٣٠٠). قال الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم:

وَإِنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنا الْمَنايا مُقَدَّرَةً لَنا وَمُقَدَّرينا (عمرو بن كلثوم ١٩٩٢: ٣١٠). والمنية لها ارتباط بالإلهة مناة «وقد مثلت الموت عند العرب كما كانت تمثل الموت والقدر أيضًا عند البابليين، وقد قالوا في خطابهم إلى ما مناتو: «يا مناة يا إلهة القدر والموت»، «ويا أيها الروح المخيف وملك الموت» (خان٢٠٠٧: ١٣٧-١٣٨).

ويبدو أن كاتب النقش قد وقع فيما كره أن يطلع عليه الآخرون، فهو يقول: فعسى أن يكون عبدا فقيرا يستجيب الإله منه لما كانت الشبهة، والشُّبْهَةُ لغة: الِالْتِبَاسُ. وَالْمُشْتَبِهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتُ (الرازي١٩٩٩: ١٦١)، وفي اصطلاح الفقهاء: «ما التبس أمره، فلا يدري أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل» (أبو جيب ١٩٨٨: ١٨٩).

واختتم النقش بصيغة دعائية متمثلة بطلب الرحمة من الله لبرجس بن محمد، وطلب الرحمة للميت مما حث عليه الإسلام كما تقدم، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم:٤١) وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» (الهيثمي١٩٩٤: ج٢١٠:١٠).

الأنساب في النقش

ترد كلمة الزُبيد بضم الزين وفتح الباء، وزبيد قبيلة

قديمة يرجع نسبها إلى مذحج، فقد نزلوا بالكوفة ومنهم الصحابي أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزُبيدي، الذي استشهد في نهاوند (السمعاني١٩٨٠،ج ٦: ٤٠٠)، وزبيد قبيلة لها بطونٌ كثيرة؛ فمنهم من يسكن في غوطة دمشق ومرجها، وعدّ القلقشندي خمسة فرقٍ منها: زُبيد المرج، وزُبيد الغوطة، وزُبيد صَرخَد، وزُبيد حوارن وزُبيد الأحلاف، وأشار إلى أن زُبيد الغوطة والمرج واحدة؛ لأن منازلهم متصلة مع بعضها، وأن زُبيد حوارن وصرخد واحدة، و(صلخد) هي من أرض حوارن، في حين أن ديار زُبيد الأحلاف بالقرب من الرحبة، وتنقسم زبيد صرخد إلى فروعٍ منها آل: زُبيد الأحلاف بالقرب من الرحبة، وتنقسم زُبيد صرخد إلى فروعٍ منها: آل مياس، وآل صيفي، وآل برة، وآل محسن، وآل جحش، وآل رجاً، وبغوطة دمشق آل رحال، وآل بدال (القلقشندي ١٩١٤:٢١٤؛ الجبور، عموش٢٠١٧: ١٠٨).

الأبيات الشعرية في النقش

السطر الأول من هذا النقش هو بيت شعر على بحر الخفيف، وجاء صحيحًا عروضيًا:

١- رَحِمَ اللّٰهُ مَنْ قَرَاْ خَطَّ كَفِّيْ

رَ	حِ	مَلْ	لَا	هُ	مَنْ	قَ	رَا	خَطْ	طَ	كَفْ	فِّي
ب	ب	–	–	ب	–	ب	–	–	ب	–	–
فَعِلَاْتُنْ				مُتَفْعِلُنْ				فَاْعِلَاْتُنْ			

وَدَعَاْ لِيْ بِاْلْعَفْوِ مِنْ يَوْمِ حَتْفِيْ

وَ	دَ	عَا	لِيْ	بِلْ	عَفْ	وِ	مِنْ	يَوْ	مِ	حَتْ	فِي
ب	ب	–	–	–	–	ب	–	–	ب	–	–
فَعِلَاْتُنْ				مُسْتَفْعِلُنْ				فَاْعِلَاْتُنْ			

ولو كتب صاحب النقش الفعل (قرأ) بالهمزة لانكسر البيت عروضيا، فالصواب كما كتب (قـرا) بتسهيل الهمزة إلى ألف، واشتمل البيت على التصريع فنهاية الشطر الأول (كفّي) ونهاية الشطر الثاني (حتفي) على وزن وقافية واحدة، والتصريع: «... هو أن يجانس الشاعر بين شطري البيت الواحد في مطلع القصيدة أي يجعل العروض مشبهًا للضرب وزنًا وقافية». (عتيق ١٩٨٧: ٣٤). وجاء البيت الثاني على البحر الخفيف أيضا، وهو صحيح عروضيا.

٢- فَعَسَىٰ أَنْ يَكُوْنَ عَبْدًا فَقِيْرًا

فَ	عَ	سَىٰ	أَنْ	يَ	كُوْ	نَ	عَبْ	دَنْ	فَ	قِيْ	رَنْ
ب	ب	–	–	ب	–	ب	–	–	ب	–	–
فَعِلَاْتُنْ				مُتَفْعِلُنْ				فَاْعِلَاْتُنْ			

يَسْتَجِيْبُ ألِيْلَاْهُ (الإله) منه فيعفي

يَسْ	تَ	جِيْ	بُلْ	إِ	لَاْ	هُ	مِنْ	هُوْ	فَ	يَعْ	فِي
–	ب	–	–	ب	–	ب	–	–	ب	–	–
فَاْعِلَاْتُنْ				مُتَفْعِلُنْ				فَاْعِلَاْتُنْ			

قال محمد خير رمضان يوسف صاحب كتاب خواتيم الوراقين: «وفي آخر (كتاب) مشرق الشمسين وإكسير السعادتين لبهاء الدين العاملي نسخة مكتبة المرعشي[1]:

رحـم الله مـن قـرا خـط كفي
ودعا لي بالعفو في يوم حتفي

فعسى أن يكون عبدا مطيعا يستـجـيب الإله مـنـه فيعفي (يوسف ٢٠١٦: ٤٩) وأورد أسعد الطيب البيتين في مقالته: "من أحوال النساخ في تراثنا" المنشورة في مجلة تراثنا، مشيرا إلى وجودهما في أواخر مخطوطة العاملي مشرق الشمسين وإكسير السعادتين الذي كتب في الـعام ١٠٢٩هـ. (الـطيـب ١٤١٢هـ: ١٠٢) والباحثان السابقان لم ينسبا البيتين لبهاء الدين العاملي على وجه الجزم والتحقق، وإنما أشـارا إلى وجود البيتين في كتابه؛ فربما كانا لغيره، ولم نستطع رد البيتين إلى قائلهما بالرغم من البحث المستفيض.

وهـذا النقش الـمؤرخ بالعام (٧٥١هـ) أقـدم من المخطوطة بـ ٢٧٨ سنة. وأورد الطيب في مقالته السابقة الذكر بيتين لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١ هـ) الذي كتبهما في كتابه الغريبين، والبيت الأول منهما يشبه قليلا ما جاء في السطر الأول من النقش:

رحم الله من قرا خط كفي فدعا لي بالعفو والغفران

إنما الـدهـر مـا كسبت فيا طوبـاه مـن نـال رحمة الرحمن (الطيب ١٤١٢ هـ: ١٠٢)

٣- بأسا من يميني رب المنية لم (لما) كانت الشبهة

بَأْ	سَنْ	مِنْ	يَ	مِيْ	نَيْ	رَبْ	بِلْ	مَ	نِيْ
–	–	–	ب	–	–	–	–	ب	–
مُسْتَفْعِلْ			مُتَفْعِلْ			مُسْتَفْعِلُنْ			

يَ	تِيْ	لَمْ	مَا	كَا	نَ	تِشْ	شُبْ	هَ	تِيْ
ب	–	–	–	–	ب	–	–	ب	–
مُتَفْعِلْ			مُسْتَفْعِلُنْ			مُسْتَعِلْ			

ابتدأ هذا السطر بالمفعول به (بأسا) للفعل (يعفي) الوارد في آخر شطر البيت الثاني، فالسطر الثالث استكمال للبيت الثاني، وتم تسهيل الهمزة إلى الألف (باسا) ومعنى يعفي يزيل أو يمحو، قال ابن الشجري: «ويروى: يعفِّي: يمحو.» (ابن الشجري ١٩٢٥: ج٢: ٤٣) وهذا المعنى يتوافق مع قول لبيد بن ربيعة العامري:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بِمَنىً تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها «عفت: أي درست واندثرت». (لبيد بن ربيعة ٢٠٠٤: ١٠٧) ومعنى البأس: الْعَذَابُ (ابن منظور ١٤١٤هـ: ج٦: ٢٠) والمقصود يزيل غضبا أو عذابا من يدي الإله بدعاء العبد الفقير له عندما اقترف الشبهة، والتعبير كله مجازي.

جاء هذا السطر مضطربا؛ ما جعله قريبا من شعر النثر؛ لكثرة التغيرات في تفعيلة مُسْتَفْعِلُنْ التي يبنى عليها بحر الرجز؛ ووزنه في الأصل:

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ «(عتيق١٩٨٧: ٧١)

أما البيت الرابع فجاء على بحر الكامل

٤- ولسوف ينقلب الزَّ زَمَانُ وَيَحْيَا بِالْقَوْم

وَ	لَ	سَوْ	فَ	يَنْ	قَ	لِ	بُزْ	مجزوء الكامل مُدَوَّر	زَ	مَا	نُ	وَ	يَحْ	يَا	بِلْ	قَوْ	مِيْ
ب	ب	–	ب	–	ب	ب	–		ب	–	ب	ب	–	–	–	–	–	–
مُتَفَاْعِلُنْ					مُتَفَاْعِلُنْ				مُتَفَاْعِلُنْ			مُتَفَاْعِلْ			مُتْفَاْعِلْ				

والبيت مجزوء مُدَّور، ومجزوء الكامل «... ما حذف ثلثه وبقي على أربع تفعيلات» (عتيق ١٩٨٧: ٦٠) وبذلك حذف منه تفعيلتا العروض والضرب؛ يعني التفعيلة الأخيرة من صدر البيت، والتفعيلة الأخيرة من عجزه. والتدوير مصطلح جديد، ولعل أول من أشار إليه ابن رشيق القيرواني حين سماه المداخل، إذ قال: «والمداخل من الأبيات: ما كان قسيمه متصلًا بالآخر، غير منفصل منه، قد جمعتهما كلمة واحدة، وهو المدمج أيضًا...» (ابن رشيق ١٩٨١: ج١، ص١٧١-١٧٢) وجاء التدوير في كلمة (الزَّ زَمانُ).

الأخطاء النحوية والإملائية في النقش

كتب صاحب النقش في السطر الثاني خبر كان منونا تنوين كسر، وهذا خطأ نحوي؛ فخبر كان منصوب، كما كتب الصفة (فقير) دون حركة إعرابية، والصفة تتبع الموصوف في الحركة الإعرابية، فالصواب (فقيرًا). ومما تحسن الإشارة إليه أن كاتب النقش شكّل كلمة واحدة في النقش بتنوين الكسر (خبر كان)

أما الفعل يستجيب الوارد في السطر الثاني فيتعدى بحرف الجر (اللام) وليس بحرف الجر (من) الذي أثبته كاتب النقش، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (الأحقاف: الآية:٥) وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ وغير ذلك كثير، ولم يرد الفعلان (استجاب ويستجيب) مقترنين بحرف الجر (من) في القرآن الكريم كله. وجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم. ما لم يستعجل». قيل: يا رسول الله! ما الاستعجال؟ قال «يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي. فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء (مسلم ١٩٥٥، ج٤: ٢٠٩٦).

وكتب في السطر الثاني (فيعفي) وهذا خطأ فالمضارع من الفعل الماضي الثلاثي عفا يعفو، بحيث تنقلب ألف الفعل الماضي عفا إلى واو في المضارع. ومعنى العفو: «التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس (ابن منظور ١٤١٤ه: ج١٥: ٧٢) هذا إذا كان قَصْد كاتب النقش من الفعل يعفي العفو

بحيث يكون الفعل متعديا بحرف الجر عن، أما إذا قصد تعدية الفعل المذكور إلى الاسم الظاهر بأسا (المفعول به) في السطر الثالث فاستخدامه للفعل يعفي صحيح كما تقدم سابقا؛ كما في قولنا: أعفى المديرُ العاملَ من وظيفته، فبداية السطر الثالث تكملة للبيت الثاني، وهذا ما نرجّحه، بناء على سياق الكلام.

وكتب صاحب النقش في السطر الثالث (لم) عوضا عن (لما)؛ وهذا يؤدي إلى فساد المعنى السياقي في قوله: لم كانت الشبهة، والصواب لمّا كانت الشبهة. وكتب الفعل يحيا في السطر الرابع بألف مقصورة لا قائمة، ومما هو معروف إملائيا أن يحيى بألف مقصورة اسم، أما يحيا بألف قائمة ففعل، والسياق يدل على أنّ كلمة يحيا الواردة في النقش فعل لا اسم، ولسوف ينقلب الزمان ويحيا بالقوم.

كما كتب صاحب النقش في السطر السابع: وكتب سنة احد وخمسين مرتكبا خطأين؛ الأول كتابة العدد (احد) دون همزة، والثاني أن كلمة سنة ظرف مؤنث وصفتها إحدى لا أحد؛ لأن الصفة تتبع الموصوف تأنيثًا وتذكيرًا، فالصواب: وكتبه سنة إحدى وخمسين.

بقي أن نشير إلى أن حرف الراء في كلمة (رب) قد تعرّض لإضافة خط مستقيم فوقه؛ ما يوهم قراءة (رب) على أنها (إنّ)، ولكن النقطة تحت حرف الباء واضحة ولا يوجد فوقه نقطة، إضافة لوجود فاصل ما بين الخط المستقيم المنشأ لاحقا وبين أعلى حرف الراء، هذا ما نراه عيانا من الحجر الذي كتب عليه النقش.

نتائج البحث

قدم هذا النقش -موضوع البحث- قضايا دينية، وتاريخية، ولغوية، وشعرية، واجتماعية؛ من شأنها التعريف بحياة الإنسان في البادية الأردنية في الفترة المملوكية.

١- ترجع أهمية هذا النقش لكونه ذكر قبيلة زبيد في منطقة مرب الشرفات، لأول مرة، ويعد هذا بُعدًا جغرافيا جديدا لهذه القبيلة؛ فهناك نقوش اكتُشفت في مناطق مختلفة في البادية الأردنية وذات علاقة بصاحب هذا النقش والذي ينتمي لقبيلة «زبيد».

٢- النمط العام والمتعارف عليه في النقوش العربية أن تبدأ بعبارة «اللهم اغفر» في بدايتها، ولكن في هذا النقش أخرت البداية وأصبحت الجزء الثاني من النقش، وهذا يقودنا إلى احتمال أن الجزء العلوي من النقش مستحدث أي كتب بعد النص الأصلي الموجود أسفل منه.

٣- أورد كاتب النقش أربعة أبيات شعرية في بداية نقشه ليست من نظمة؛ البيت الأول والثاني على بحر الخفيف، والبيت الثالث جاء مضطربا مما جعله قريبا من شعر النثر؛ لكثرة التغيرات في التفعيلة التي يبنى عليها بحر الرجز، أما البيت الرابع فقد جاء مجزوءًا مُدورا على بحر الكامل، ومجزوء الكامل: ما حذف ثلثه وبقي على أربع تفعيلات» وكذلك احتوت هذه الأبيات على بعض المواعظ الدينية كالدعاء، وطلب العفو عند الموت.

٤- كُتب تاريخ هذه النقش بصيغتين الصيغة الأولى رقمًا (٧٥١)، وبالأرقام الهندية حيث استخدمت هذه الأرقام في الحساب العربي لأول مرة في القرن التاسع الميلادي، وأسهم الخوارزمي في نقل هذه الأرقام وقام باستخدامها في عام ١٩٨هـ - ٨١٣ م في علم الأزياج، ثم نشر في عام ٢١٠ هـ- ٨٢٥م رسالة تعرف باسم «الخوارزمي عن الأرقام الهندية» كانت بمثابة مرجع مهم لتعريف المسلمين بالأرقام الهندية وطريقة استخدامها.

٥- الأنساب في النقش: قبيلة زبيد لها بطونٌ كثيرة؛ فمنهم من سكن في غوطة دمشق ومرجها، وحوارن صلخد هي من أرض حوارن، في حين أن ديار زُبيد الأحلاف بالقرب من الرحبة، وتنقسم زبيد صرخد إلى فروعٍ منها آل: زُبيد الأحلاف بالقرب من الرحبة، وتنقسم زبيد صرخد إلى فروعٍ منها: آل مياس، وآل صيفي، وآل برة، وآل محسنٍ.

د. زياد عبدالله طلافحة: جحفية، إربد – الأردن.

د. محمد عبدالكريم الجراح: وزارة التربية التعليم، مديرية تربية المزار الشمالي، إربد – الأردن.

عماد بشير عبيدات: مديرية الآثار العامة، مديرية آثار المفرق – الأردن.

الهوامش:

(١) أحمد بن محمد بن عبدالرحمن الباشاني، أبو عُبيد الهروي (٠٠٠ – ٤٠١ هـ = ٠٠٠ – ١٠١١م) باحث من أهل هراه (في خراسان) له (كتاب الغريبين غريب القرآن وغريب الحديث، و(ولاة هراه) (الزركلي ٢٠٠٢: ج١:٢٠٦).

(٢) يشكر الباحثون أ. محمد عودة الخالدي فني المساحة والتصوير على دوره في تصوير النقش، وتحديد المكان، والمشارك في مشروع متحف النقوش العربية الشمالية في الصفاوي – المفرق الذي يعد هذا البحث جزءًا منه.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية

القرآن الكريم

الأحيوي، راشد بن حمدان ٢٠١٨، **نقوش آل ميّاس من قبيلة زبيد المساعيد في الأردن في القرن الثامن للهجرة- هنا** المساعيد.

أبو جيب، سعدي ١٩٨٨، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق.

أبو داود، سليمان بن الأشعث ٢٠٠٩، **سنن أبي داود**، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر ١٩٩٨، **جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم السنن**، تحقيق: عبدالملك الدهيش، دار خضر، بيروت.

ابن كلثوم، عمرو ١٩٩٢، **ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي**، تحقيق: أيمن محمد علي ميدان، الطبعة الأولى، الناشر: النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية.

برامكي، ديمتري١٩٦٤، **النقوش العربية في البادية السورية، الأبحاث**، السنة١٧، الجزء الثالث، الجامعة الأميركية – بيروت،٣١٧ –٣٤٦.

بكير، ميس٢٠٢٣، **لماذا نستخدم الأرقام الهندية**، https:// mawdoo3.com

الترمذي، محمد بن عيسى ١٩٧٥، **سنن الترمذي**، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة.

التغلبي، عمرو بن كلثوم ١٩٩٢، **الديوان**، الطبعة الأولى، تحقيق: أيمن ميدان، دار الثقافة بجدة، المملكة العربية السعودية.

الجبور، خالد١٩٩٩، الآثار الإسلامية في وادي سلمى مساجد- نقوش -فخار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد.

الجبور، خالد٢٠١١، "بيان أسعار الحنطة في نقش مملوكي من البادية الأردنية»، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، مجلد١٨، العدد الرابع، عمان. ١-١٨.

الجبور، عموش٢٠١٧، "عشائر زبيد والمساعيد في نقش مملوكي جديد من البادية الأردنية الشمالية الشرقية"، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، العدد ٢، الجامعة الأردنية، عمان. ١٠٥=١١٧.

الحصان عبدالقادر محمود٢٠٢٠، **نقوش عربية إسلاميَّة مؤرخة من الباديَّة الشماليَّة الشرقيَّة**، المفرق.

خان، محمد عبدالمعين ٢٠٠٧، **الأساطير والخرافات عند العرب**، الطبعة الرابعة، آفاق ثقافية، الكتاب الشهري ٤٧، آذار، دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية.

الرازي، زين الدين ١٩٩٩، **مختار الصحاح**، الطبعة الخامسة، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.

الزركلي، خير الدين بن محمود ٢٠٠٢، **الأعلام**، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت.

السمعاني، الأمام سعد عبدالكريم ١٩٨٠، **الأنساب**، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالرحمن اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

القلقشندي، أبو العباس أحمد ١٩١٤، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المطبعة الأميرية، القاهرة.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري١٩٥٥،

صحيح مسلم، تحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني ١٩٨١، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، الطبعة الخامسة، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل.

عتيق، عبدالعزيز ١٩٨٧، **علم العروض والقافية**، دار النهضة العربية، بيروت.

العسقلاني، أحمد بن علي ٢٠١٢، **الإصابة في تمييز الصحابة**، المكتبة العصرية، بيروت.

العيني، بدر الدين محمود ٢٠١٠، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: عصر سلاطين المماليك**، تحقيق: محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة.

طلافحة، زياد ٢٠١٥، "نقوش إسلامية من مسجد تلة الفهداوي البادية الأردنية الشمالية الشرقية"، **أدوماتو**، العدد ٣٢، المملكة العربية السعودية، الرياض، ٤٩-٦٨.

المقريزي، تقي الدين ١٩٩٧، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

الهاشمي، محمد علي١٩٩١، **العروض الواضح وعلم القافية**، دار القلم، دمشق.

ثانيًا: المراجع غير العربية

https://www.cfpr.eu/wordpress/wp-content/uploads/2016/11/Recovery-of-the-Mausoleum-of-Sunqur-Sa-di-and-restoration-of-Mevlevi-Takiyya.pdf

أمية بن أبي الصلت ١٩٩٨، **الديوان**، الطبعة الأولى، جمعه وحققه وشرحه: سجيع جميل العجيلي، دار صادر، بيروت.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين ١٩٩٤، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة.

يوسف، محمد خير رمضان ٢٠١٦، **خواتيم الوراقين**، دار الصالح، القاهرة.

ابن الشجري، ضياء الدين ١٩٢٥، **مختارات شعراء العرب لابن الشجري**، الطبعة الأولى، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، مطبعة الاعتماد، مصر.

لبيد بن ربيعة العامري، **الديوان**، الطبعة الأولى، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ٢٠٠٤.

ابن منظور،جمال الدين ١٤١٤هـ، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت.

الطيب، أسعد ١٤١٢هـ، "من أحوال النسّاخ في **تراثنا** العربي الاسلامي"، **تراثنا**، نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت، العدد الرابع، [٢٩]، السنة السابعة/شوال – ذو القعدة – ذو الحجة، الجمهورية الإسلامية – لإحياء التراث، ٩٠ – ١٠٤.

Centro di Conservazione Archeologica. 2016. **Recovery of the Mausoleum of Sunqur Saʿdi and Restoration of Mevlevi Takiyya**.